من بازل 1897 إلى غزّة 2025: المشروع الصهيوني بين سلاح العلم وشهادة دولة قطر حفظها الله

- عام 1939... أميركا ترفض يهود السفينة
- في صلواتهم... استعجال خروج الماشيح
- أبحاث غربية حديثة: العنف عقيدة صهيونية
- الشيخ آل ثاني: أسلحة لا ترصدها الرادارات
- من 11 مليوناً في عام 1945 إلى قوة عالمية
- أوكرانيا شاهدة أن العهود بلا قوة حبر على ورق
- تايوان للصين... أميركا تعترف وتمنع استعادتها

بسم الله الرحمٰن الرحيم

1ـ كلمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني

ضمن كلمة الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل ثاني ـ وفقه الله ـ أمام مجلس الأمن في جلسة طارئة عُقدت في مؤتمر الأمم المتحدة بنيويورك بتاريخ 11 سبتمبر 2025، قال:

«كيف يزورنا مسؤولون إسرائيليون للتفاوض ونستضيفهم على أرضنا، وقياداتهم تخطط لقصفها بعد أيام، ويقصفونها فعلاً؟ هل سمعتم عن دولة تهاجم دولة الوساطة بالطائرات الحربية المقاتلة، وتعمل خلال العملية التفاوضية على تصفية أعضاء الوفود التي تفاوضها في مقر اجتماعاتهم؟ ومن ثم يخرج رئيس وزرائها بتبريرات مشينة ومقارنات مغلوطة، يحاول فيها شرعنة فعلته التي أدانها العالم أجمع. بينما كان ينبغي للسيد رئيس الوزراء استذكار نموذج«طالبان»، التي كان لها مكتب سياسي في الدوحة كقناة للتواصل مع العالم، وأثمرت هذه القناة التوصل إلى اتفاق إحلال السلام في أفغانستان، الذي أفضى إلى إنهاء الحرب بعد عقود مريرة، ولم تُقدِم الولايات المتحدة على استهداف مفاوضيها على مر السنين، بل على العكس، شهد العالم نجاح بلادي بالشراكة مع الولايات المتحدة الأميركية برئاسة الرئيس دونالد ترامب في إنهاء أطول حرب في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية في عام 2020. هذا هو نهجنا الذي يستهدفه رئيس الوزراء الإسرائيلي، والذي يحاول تشويهه عبر تبريرات رخيصة للتكسب العاطفي».

2ـ الغدر... وجه قديم يتجدد

إن الغدر الذي أشار إليه الشيخ محمد بن عبدالرحمن آل ثاني ليس إلا امتداداً لمسار قديم: ابتداء هرتزل حلماً، وزيّنه وايزمان خداعاً، وأقامه بن غوريون دماً، وثبّته بيغن إرهاباً، حتى كشفه نتنياهو صريحاً بلا قناع، فهو مشروع بدأ بالحلم، ثم مرّ بالخداع، ثم غُمس في الدم، وتغذّى على الإرهاب، حتى انكشف اليوم عارياً أمام العالم.

3ـ عقيدتهم في انتظار الماشيح

النص العبري كما يرد في السِّدور (كتاب الصلاة):

”את צמח דוד עבדך מהרה תצמיח, וקרנו תרום בישועתך, כי לישועתך קִוִּינו כל היום. ברוך אתה ה’ מצמיח קרן ישועה.“

(لتنبت سريعاً غصن داود عبدك، ولتُرفع رايته بخلاصك، لأننا لخلاصك نترجى طول النهار. مبارك أنت يا رب، منبت قرن الخلاص).

في صلاة الثامنة من شِمونِه عَسريه (Amidah):

”אֶת צמח דוד עבדך מהרה תצמיח“

(لتُنبت سريعاً غصن داود عبدك).

ويُكمِلون في نفس الدعاء:

”כי לישועתך קִוִּינו כל היום“

(لأننا لخلاصك نترجى طول النهار).

وفي بعض نصوصهم يقولون:

”יבוא משיח צדקנו במהרה בימינו“

(ليأتِ مسيحنا البار عاجلاً في أيامنا).

هذه النصوص تكشف بوضوح أن عقيدتهم متعلقة بانتظار «المسيح الماشيح» لإقامة دولة إسرائيل الكبرى، فهم يستعجلون خروجه.

وهذه النصوص تعكس العقيدة المسيحانية في اليهودية، والتي تتضمن:

* انتظار المسيح المنتظر من نسل الملك داود.
* الاعتقاد بأنه سيُعيد إقامة مملكة إسرائيل.
* الدعاء بتعجيل مجيئه لتحقيق «الخلاص النهائي».

فهذه العقائد أيضاً تأخذ اليوم أبعاداً سياسية عند الحركات المسيحانية المتطرفة، التي ترى في التوسع الجغرافي خطوة لتحقيق النبوءات.

4 ـ شهادات غربية حديثة لا عربية تكشف لك الحقيقة

إنها عقيدة انتظار خروج «المسيح الماشيح» لخلاصهم، هذا ما تقوله مصادر غربية بحتة صرفة لا علاقة لها بالوطن العربي أو الإسلامي، إنما هي آراء أكاديمية غربية محضة متواترة سأذكر بعضها لعدم الإطالة، وكذلك من دراسات حديثة جديدة، وليست من رواسب «نظرية المؤامرة» التي لا أنتمي إليها في قراءتي.

فقد أكدت الدراسات الغربية الحديثة أن الصهيونية الماشيحانية تربط انتظار خروج «المسيح الماشيح» بإقامة دولة إسرائيل الكبرى، وتعتبر العنف والاحتلال والإبادة وسائل ضرورية لتحقيق الخلاص القومي والروحي. فهذه الأبحاث الغربية الحديثة توضح أن منطق «الغاية تبرر الوسيلة» متجذّر في الفكر الصهيوني المتطرف، ويُستخدم لتبرير السياسات التوسعية بوصفها خطوات عقائدية طويلة المدى.

هذه بعض المصادر

(2011)

«الفكر الصهيوني الحديث، حتى عندما صيغ بمصطلحات علمانية، احتفظ غالباً بالقناعة التوراتية العميقة بأن العنف ليس مسموحاً به فحسب بل هو ضروري أحياناً من أجل تأمين المصير اليهودي في أرض إسرائيل».

«في الصهيونية الدينية، يتم تبرير العنف بناءً على الإيمان بأن اليهود مختارون، وأن الله وعدهم بأرض إسرائيل، وأن فترة الماشيح تقترب، وأن غير اليهود شرّيرون. الصهيونية العلمانية لا تتبنى المعنى الحرفي لهذه الأفكار، لكنها حوّلتها إلى أفكار قومية أسهمت أيضاً في إلهام العنف».

المصدر: Alexander Kaye, The Peace and Violence of Judaism: From the Bible to Modern Zionism, Oxford University Press, 2011.

(2017)

«ينظر الصهاينة الدينيون إلى أنفسهم كروّاد لمهمة إلهية، يرون أن نشاطهم الاستيطاني وحتى أعمال العدوان هي جزء من تنفيذ إرادة الله في أرض إسرائيل. هذا الإحساس بالاستحقاق الإلهي كثيراً ما أدى إلى تصاعد المواجهات، خصوصاً في الخليل بعد عام 2005».

المصدر: Picciuto, Nico. “Why Have Religious Zionists Perpetrated Acts of Violence in Hebron Post-2005?” Global Societies Journal, vol. 5, 2017.

(2020)

«مع تنامي نفوذ هؤلاء المتطرفين سياسيّاً، ينبغي ألا يُستهان بمشاريعهم الجامحة».

ويشير المقال إلى أن التيار الصهيوني الماشيحاني يعتمد على أيديولوجية ترى في العنف والاحتلال والإبادة وسائل ضرورية لتحقيق خلاص قومي وروحي. هذا التيار السياسي المتطرف يبرر توسيع دولة إسرائيل الكبرى باعتبار ذلك خطوة عقائدية طويلة المدى. ويؤكد المصدر أن منطق «الغاية تبرر الوسيلة» متجذر في الفكر الصهيوني الماشيحاني المتطرف، ويُستخدم لتبرير السياسات التوسعية والعنف بشكل واضح.

المصدر: Monthly Review – المجلد 71، العدد 9 (فبراير 2020)، مقال Messianic Zionism: The Ass and the Red Heifer.

(2023)

«المذبحة في حوارة والأعمال المشابهة من عنف المستوطنين تعكس إطاراً أيديولوجيّاً وعقائديّاً متجذراً في الصهيونية الدينية الراديكالية، حيث يُنظر إلى العنف كعمل طبيعي وضروري نحو إقامة عصر الماشيح. تعاليم حاخامات مثل يتسحاق جينسبورغ تروّج لثورة روحية هلاخية تتصور دولة إسرائيل كثيوقراطية تحت حكم ملك داوودي. هذا التوتر الماشيحاني يغذي العنف ضد الفلسطينيين، المبرر ضمن هذه العقيدة كجزء من الخلاص الإلهي».

المصدر: Tomer Persico, “A Natural Act of Vengeance: Settler Violence and Two Types of Jewish Fundamentalism”, Shalom Hartman Institute, 2023.
(مقتبس أيضًا عبر Times of Israel).

(2024)

«الصهيونية الماشيحانية نهاية الزمان عسكرية، راديكالية، كابالية، موجهة نحو الحرب، وتهدف إلى تسريع النهاية من خلال تفسير الأحداث المعاصرة كتحقيق للنبوءات. يؤمن الماشيحانيون الصهاينة الراديكاليون بأن كل النبوءات يجب أن تتحقق بفعل البشر كي يأتي المسيح الداوِدي، ويستخدمون الحسابات الصوفية للتأكيد أن النهاية قريبة. ونتيجةً لذلك، يضغطون على دولة إسرائيل للانخراط في سفك الدماء وبدء الحرب، ويرون هذه الأعمال ليست اختيارات بل شروطاً جوهرية للصهيونية الماشيحانية».

المصدر: مجلة Milel ve Nihal: Journal of Religion and Thought – «سؤال العلاقة بين الصهيونية وعقيدة المسيا» (Dergipark، 2024).

(2024)

«يُعتقد أن ذلك سيساعد على تحقيق النبوءات التوراتية وإطلاق عصر المشيح... كل جهودنا ونهضة أمتنا اليهودية، هي من أجل البشرية... كان اهتمامي بموضوع الهيكل الثالث يفسَّر غالباً من قبل محدثيّ كعلامة على اقتراب عصر المشيح... كنت أريد أن أفهم كيف ترتبط رؤى السلام والوحدة العالمية الماشيحانية بأفعال عنف ملموسة في الواقع المعاصر... مجرد كونكِ، كامرأة يهودية من أميركا، تجلسين هنا معي في أرضنا القديمة وتضعين يديكِ في العجين هو علامة على أن الفداء (الجيلولة) قادم! بعد قرون من الاضطهاد والمعاناة عدنا إلى وطننا ونشهد المعجزات».

المصدر: راتشيل فيلدمان، الصهيونية الماشيحانية في العصر الرقمي: اليهود، أبناء نوح، وخيال الهيكل الثالث، دار نشر جامعة روتجرز (Rutgers University Press، 2024).

5 ـ من ثيودور هرتزل (1860 – 1904) إلى مانيس فريدمان (1946)

* ثيودور هرتزل أسّس الحركة الصهيونية بعقد المؤتمر الأول في بازل 1897، حيث أنشئت المنظمة الصهيونية العالمية وأقرّ «برنامج بازل» لإقامة وطن لليهود في فلسطين.

المرجع: كتاب أكسفورد ثيودور هرتزل وتأسيس الحركة الصهيونية، 1897 (2016).

* ديفيد بن غوريون رأى أن جيش الدفاع الصهيوني هو تجسيد حديث لقوة يشوع. وقال: «منذ أيام يشوع بن نون وحتى حرب جيش الدفاع الصهيوني وقفنا قلّة في مواجهة الكثرة».

المصدر: موقع TheTorah.com – 16 يوليو 2021.

* الحاخام الصهيوني مانيس فريدمان (في حوار مع مجلة Moment، مايو/يونيو 2009):

قال بوضوح: «لا أؤمن بالأخلاقيات الغربية. الطريقة الوحيدة لخوض حرب أخلاقية هي الطريقة اليهودية: دمّر أماكنهم المقدسة، واقتل رجالهم ونساءهم وأطفالهم (ومواشيهم)».

وأكّدته وكالة الأنباء اليهودية JTA - (1يونيو 2009).

ملاحظــة

هناك أصوات قليلة جدّاً في الصف اليهودي تُعارض الصهيونية بطريقتها، لكنها تبقى شاذة وهامشية لا وزن لها أمام التيار الصهيوني المتغلب. فالصورة الغالبة لليهود اليوم مرتبطة بالفكر الصهيوني ونهج نتنياهو المتشدد، غير أن هذه الأصوات المحدودة تتباين على نحو ضيق:

* فمنهم من يرى «أحقيته» بفلسطين كأرض، ويقاتل ويقتل من أجلها، لكنه يخالف سياسات نتنياهو العدوانية ويدعو إلى حلول أقل صداماً، وهو مع ذلك معتدٍ دموي.
* ومنهم قلة نادرة لا تؤمن أصلاً بأحقية اليهود في أرض فلسطين، وتتبنى موقفاً عقديّاً يعتبر العودة إليها مخالفة لانتظار «المسيح الموعود»، مثل جماعات ناطوري كارتا وغيرها، وقد وُصفت من الجانب الصهيوني بأنها «خائنة».

6 ـ الدرس المستفاد: النصر بالقوة لا بالعدد ولا بالمال ولا بالتواكل، فالقوة ميزان الأمم والحكم

قال الله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، ثم بيّن العلة بقوله: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ).

ومن هنا نفهم قول الشيخ محمد بن عبد الرحمن آل ثاني في 9/ 9/ 2025:

«الدفاعات الجوية القطرية تعاملت بدقة مع موجة الصواريخ الإيرانيــة، لكن العدو الإسرائيلي استخدم أسلحة لم تَرصدها راداراتنا».

فهذه الشهادة الميدانية تكشف جوهر القضية: أن النصر لا يُنال بكثرة العدد ولا بوفرة المال، وإنما بالعلم والتقنية وتوظيفها في بناء منظومة القوة.

الصهاينة توسّعوا في شتى العلوم حتى غدوا قوة عالمية رغم أن عددهم لا يبلغ عشرين مليوناً، أي ما يعادل ولاية في إندونيسيا. فالمال بلا قوةٍ ضعف، إذ يتحول إلى غنيمة في يد الأقوياء، والتوكل بلا بذل الأسباب تواكلٌ يُفضي إلى العجز والخذلان. أمّا الإعداد الحقيقي اليوم فليس في التمارين على أسلحة صُنعت قبل نصف قرن، بل في امتلاك التقنية، والتقدّم الصناعي، وتطوير أنظمة التسليح والفضاء والمعلومات، وهو ما قصده الشرع حين أمر بالأخذ بالأسباب وبناء القوة.

ولتتضح الفجوة، فالعالم العربي والإسلامي لا يفتقد البندقية أو القاذف التقليدي، وإنما يفتقد منظومات القوة التي تحتكرها القوى الكبرى، مثل:

1. F-22 Raptor – إف 22 رابتور: طائرة سيادة جوية شبحية لم تُصدَّر لأي دولة.
2. B-21 Raider – بي 21 رايدر: قاذفة شبحية جديدة قادرة على اختراق أعتى الدفاعات الجوية.
3. Zumwalt-class Destroyer – المدمرة زمولت: سفينة حربية شبحية بمدافع كهرومغناطيسية وتقنيات متقدمة.
4. USS Gerald R. Ford – جيرالد فورد: أحدث حاملة طائرات نووية، أشبه بمدينة عسكرية عائمة.
5. Virginia-class Submarine – الغواصة النووية فئة فرجينيا: غواصة غير قابلة للرصد تقريباً، تحمل صواريخ كروز.
6. THAAD – ثاد: منظومة صواريخ تعترض الباليستيات في طبقات الجو العليا.
7. “Son of Blackbird” SR-72 – إس آر 72: مشروع طائرة استطلاع هايبرسونيك بسرعة 6 ماخ.
8. X-37B Spaceplane – إكس 37 بي: طائرة فضائية عسكرية غير مأهولة تدور في مدارات عالية شهوراً طويلة.
9. KH-11 Reconnaissance Satellite – كي إتش 11: قمر تجسسي قادر على تصوير تفاصيل دقيقة من الفضاء.
10. Cyber Command Systems – أنظمة القيادة السيبرانية: جيوش رقمية قادرة على تعطيل كهرباء واتصالات دول كاملة.

هذه من أمثلة القوة التي تصنع الفارق في ميزان الأمم، وهي المعنى العميق لقول الله تعالى:

(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)... (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ).

7ـ شواهد من الواقع المعاصر

أ) لا ينتصر الحق لمجرد أنه حق

* في عالم اليوم، لا يُفرض الحق لمجرد كونه عدلاً أو صدقاً، بل بما يملكه أصحابه من قوة وهيبة وأدوات تأثير.
* القضايا العادلة في العالم لم تكن نتيجة لنزاهة الشكوى ولا لعدالة المطالب؛ لأن الموازين ليست بيد أصحابها.

ب) روسيا وأوكرانيا

* روسيا دخلت أوكرانيا، وتحتل حالياً نحو 20 % من أراضيها (The Kyiv Independent, 8/8/2025).
* المساحة التي تسيطر عليها روسيا تبلغ 113.588 كم²، أي أكبر من مساحة النمسا أو بلغاريا أو البرتغال (Reuters, 30/6/2025).
* الجيش الروسي وصل إلى دنيبر وبتروفسك، في حين بدأت الصين تعمل في المناطق الخاضعة للروس بلا اعتراض دولي يُذكر.
* الغرب يكتفي بالتصريحات والدعم المالي، ولا يجرؤ على المواجهة المباشرة.

قال عقبة بن عامر رضي الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ)، ثم قال: «ألا إن القوة الرمي» ثلاثاً.

ج) مثال الصين وتايوان – القوة فوق الاعترافات

* الصين تعتبر تايوان جزءاً من أراضيها، وأميركا نفسها تعترف رسمياً بهذا الموقف منذ 1978.
* ورغم ذلك، لم تستطع بكين استعادتها، لأن ميزان القوة الأميركي يمنع أي خطوة لضمها، رغم استردادها هونغ كونغ سابقاً.
* هذه وقفة فارقة: دولة بحجم الصين، واقتصادها العملاق، وجيشها الهائل، تخضع لمعادلة قوة أكبر تحدد متى وكيف تتحرك.

د) مذكرة بودابست – ضمانات بلا قوة

- وُقّعت المذكرة في 5 ديسمبر 1994 بين أوكرانيا وروسيا وأميركا وبريطانيا، وتعهدوا باحترام استقلال دولة أوكرانيا ووحدة أراضيها مقابل تخليها عن أكثر من 1700 رأس نووي.
- لكن حين اجتاحتها روسيا عام 2014 ثم 2022، لم تنفعها الضمانات ولا التواقيع.
- مع أن أوكرانيا وروسيا ينتميان كلاهما إلى عقيدة واحدة: الأرثوذكسية الشرقية، فإن الحرب لم ترحم وحدة الدين ولا وحدة التاريخ.
- وإلى اليوم وأنت تقرأ المقال تُقصف مدن أوكرانيا الأوروبية النصرانية، وتُنتزع أراضيهم، ويُقتَل أبناؤهم ساعةً بعد ساعة.
- فما قيمة العهود على الورق إذا لم تسندها قوة واقعية معتبرة؟

8 ـ القوة في الاقتصاد والسياسة

أ) معيار القوة في التجارة

- تستخدم القوى الاقتصادية الكبرى الرسوم الجمركية كأداة ضغط، حيث شهدنا خلال السنوات الماضية فرض رسوم أمريكية على منتجات صينية وصلت في بعض الحالات إلى 25 %، مما يعكس كيف تُستعمل الأدوات الاقتصادية لتحقيق أهداف سياسية واستراتيجية أوسع.
- على سبيل المثال، أعلنت الولايات المتحدة في مايو 2024 فرض رسوم بنسبة 100 % على السيارات الكهربائية الصينية (EVs)، ضمن حزمة إجراءات جمركية تهدف لحماية الصناعة الوطنية ومواجهة الدعم الحكومي الكبير للصين.
- تُفرض الرسوم غير المتكافئة، فيدفع الطرف الأضعف أضعاف ما يتلقاه، ومثال ذلك ما تفرضه الولايات المتحدة على الصين من قيود ورسوم جمركية، فمع قوة اقتصاد بكين العملاق إلا أنها تقبل بتلك الشروط لأنها خاضعة لمعادلة قوة أكبر.
- القوة ليست فقط في الميدان العسكري، بل في صياغة قواعد التجارة العالمية وفرض شروط اللعبة الاقتصادية.

ب) مشهد الكراسي يكشف الموازين

* في 20 أغسطس 2025م، ظهر الرئيس الأمريكي جالسًا خلف مكتبه، بينما جلس القادة الأوروبيون أمامه في صورة أثارت حفيظة الرأي العام باعتبارها رسالة بليغة حول الفوارق في مواقع النفوذ.
* ليس أدلّ على هيبة القوة من هذا المشـهد: التـفوق العسكري والاقتصادي يجعل حتى قادة القارات العريقة في موقع المتلقي لا المقرر.
* فالصور أحيانًا تُغني عن آلاف الكلمات في كشف موازين القوة.
* يظهر ذلك بوضوح في اجتماعات الناتو وترتيباتها، حيث يحتل الرئيس الأمريكي موقعًا مركزيًا يدلّ على القيادة الفعلية، وكذلك في قمم مجموعة الدول الصناعية الكبرى.
* ليس البروتوكول مجرد إجراءات شكليّة، بل هو انعكاس مباشر للقوة الاقتصادية والعسكرية؛ المقاعد وترتيبات الجلوس تحمل رسائل سياسية مؤثرة.
* الصور السياسية الملتقطة في هذه اللحظات تصبح وثائق تاريخية تُظهر طبيعة العلاقات الدولية في وقتها.

الدرس المستفاد:

حتى التفاصيل الظاهرة — كمشهد الكراسي — تحمل دلالات عميقة حول توزيع القوة والنفوذ بين الأمم.

9ـ العبرة من التجربة الصهيونية

* في عام 1939 أبحرت السفينة St. Louis وعلى متنها 937 يهوديًا، فرفضتهم كوبا وأمريكا، وعادوا إلى أوروبا، فتوفي المئات منهم لاحقًا (Smithsonian Magazine, 18/11/2015).
* وفي العام نفسه أصدرت بريطانيا "الكتاب الأبيض" الذي قيّد هجرة اليهود إلى فلسطين رغم معرفتها بما يواجهونه من اضطهاد.
* وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية (1945) كان عدد اليهود في العالم حوالي 11 مليونًا فقط.

لكن كيف انتقل الصهاينة من الضعف إلى السيطرة؟

* لم يعتمدوا على الثورات أو الشعارات، بل على التخصص والعلم والعمل المنظم والعلاقات.
* استثمروا في الاقتصاد، وبرعوا في العلوم، وامتلكوا ناصية الطب والمال، وأحكموا قبضتهم على صناعة الإعلام.
* قدّموا اختراعات واكتشافات جعلت الغرب بحاجة إليهم في مجالات الطب والفيزياء والكيمياء والرياضيات والتقنية.
* عزّزوا قوتهم عبر أجهزة التجسس وجمع المعلومات، مثل الموساد عالميًا ووحدة 8200 في الحرب السيبرانية.
* اليوم، انعكست الموازين: فمجرد كلمة ضدهم في الغرب قد تجرّ على قائلها الملاحقة والعقوبة والطرد.

الخلاصة: سرّ قوتهم أنهم حوّلوا قِلّتهم إلى ضرورة، فصارت حاجة الغرب إليهم أعمق من أن يستغنى عنها، وأقوى من أن تُتجاهل.

10 ـ الفوضى لا تصنع تمكينًا

* الربيع العربي (2010 – 2020) ترك حصيلة مروعة: أكثر من 500,000 قتيل، ونحو 20 مليون نازح ولاجئ، وخسائر اقتصادية بمئات المليارات من الدولارات.
* هذه التجارب أثبتت أن الصدامات لم تنتج نصرًا، بل أهدرت الأرواح والموارد.
* الحماسة حين انفصلت عن العقل أحرقت فرص الشعوب بدل أن تبني مستقبلها.
* والدرس الباقي: التمكين لا يُنال بالفوضى والاندفاع، وإنما ببناء القوة المؤسسية والاستراتيجية على أسس راسخة.

11ـ ولاة أمورنا يبنون بعقلٍ لا بضجيج

* التمكين لا تصنعه الانفعالات، بل يُبنى بالتحرك المدروس، والتحالفات المحسوبة، وتشييد ركائز القوة العلمية والاقتصادية.
* السياسة الشرعية الحقّة تقوم على تقدير المصلحة، وحسن التدبير، وإدراك موازين القوى كما هي لا كما يُتمنّى.
* وهنا تتجلّى القيادة المسلمة في ولاة أمورنا اليوم، كأمير البلاد الشيخ مشعل الصباح، وخادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز وولي عهده محمد بن سلمان، والشيخ محمد بن زايد، والشيخ تميم بن حمد، والسلطان هيثم بن طارق، والملك حمد بن عيسى، والرئيس عبد الفتاح السيسي، وغيرهم، وفقهم الله جميعًا لما يحب ويرضى.
* إنهم يمضون بمشروعات طويلة المدى، صبورة في خطواتها، متأنية في بنائها، لا تطيح بها عاطفة لحظة ولا حماسة انفعال.

12ـ وصية القوة من كلام العلامة السعدي رحمه الله

الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله (1307–1376هـ / 1889–1956م)، صرّح في تفسيره عند قوله تعالى: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ) بفوائد عظيمة، نذكر منها أربع نقاط:

1. قال السعدي: «أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية، والبدنية، وأنواع الأسلحة، ونحو ذلك مما يعين على قتالهم».
2. وقال: «فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع، والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة».
3. وقال: «ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا إن القوة الرمي».
4. وقال: «فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كان مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وجب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب. وذلك داخل في قوله تعالى: (تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)».

الخاتمة

*** نسأل الله أن يوفق قادة المسلمين وولاة أمورهم للأخذ بأسباب القوة والفلاح، وأن يبصّر الشعوب المسلمة بحقائق النصر ومقومات العزة.**

*** فالنصر في عالم اليوم لا يُنال بكثرة العدد، ولا بعلوّ الهتاف، ولا بمجرد الإقدام على الموت؛ وإنما هو بعد توفيق الله تعالى ثمرةُ علمٍ راسخ، وعملٍ متقن، وتخطيطٍ بعيد المدى، وصبرٍ ومصابرةٍ حتى تُستكمل أركان القوة.**

*** وهذه رحلة طويلة لا تُختصر في أيام، بل تحتاج إلى بناء متدرج، وجهد متواصل، وثبات راسخ؛ كما فعلت الصين ذات الحزب الأوحد، إذ أمضت عشرات السنين في الإعداد حتى بلغت ما هي عليه اليوم.**

*** وما لم تُستجمع عناصر القوة في جوانبها كلها بعد توفيق الله تعالى: العلمية، والاقتصادية، والسياسية، والعسكرية؛ فسيبقى الضعف نافذًا مؤثرًا.**

*** وعلى الشعوب أن تنقاد لوليّ أمرها بالمعروف، وتؤدي واجبها في البذل والصبر والعمل على مرّ السنين، وأن تسير خلف قيادتها في طاعةٍ لا معصية فيها، دون نزع ليدٍ من طاعة، مع لزوم النصيحة سرًّا كما أوصى النبي ﷺ، وتَرك التحزّب المفرّق وشقّ عصا الجماعة.**

*** فالقوة بعد توفيق الله هي سرّ العزة، وضعفها هو أصل المهانة.**

*** اللهم كن لأهل غزة عونًا ونصيرًا، اللهم احفظ دماءهم وأعراضهم، واشفِ جرحاهم، وارحم موتاهم، واغفر لهم، وانصرهم على عدوهم، وأبدل خوفهم أمنًا.**

كتبه: محمد عثمان العنجري

السبت 21 ربيع الأول/ 1447 هجري

الموافق 13/ 9/ 2024م